ملامح الشخصيات اليهودية في رواية "هفوة" لبسام شمس الدين
دراسة تحليلية لوجهة النظر السردية

د. محمد عبدالله منور آل مبارك

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب_ جامعة الملك سعود

المستخلص:

يتناول هذا البحث صورة الشخصيات اليهودية في رواية "هفوة" للروائي اليمني بسام شمس الدين، كما يتناول وجهة النظر السردية المشكلة لملامح تلك الشخصيات، وقد كشفت الدراسة عن ثلاث مكونات شخصانية يهودية هي: صورة الشخصية اليهودية العامة، وصورة رجال الدين اليهود، وصورة المرأة اليهودية، وقد خلصت الدراسة إلى أن الشخصية اليهودية اليمنية مكون أصيل من المجتمع اليمني في زمن الرواية، وأن الشخصيات الروائية متماهية ومتأثرة بالبيئة اليمنية الاجتماعية والثقافية، وأنها كانت على انسجام تام مع الدولة اليمنية والمواطنين المشاركين لهم في الوطن، وأن وجهة النظر السردية التي تطرحها الرواية تدور حول إيجاد حلول حضارية،، قوامها التسامح والتعايش للإشكالات الحياتية الناجمة عن العلاقات الحياتية بين مختلفي الديانات في الوطن الواحد، والتشريعات الدينية التي ينتمون لها.

الكلمات الإفتتاحية: ملامح؛ الشخصيات؛ اليهودية؛ هفوة؛ وجهة النظر

موضوع البحث وأهميته

يتناول هذا البحث دراسة ملامح الشخصيات اليهودية وصفاتها التي جاءت في رواية "هفوة" للروائي اليمني بسام شمس الدين، وهي شخصيات عربية يمنية يهودية الدين والمعتقد، وهي جزء أصيل من المواطنة اليمنية، وتمثل خيطًا في نسيج المجتمع اليمني في النصف الأول من القرن العشرين، كما تتناول الدراسة ما توحي به بنية تلك الشخصيات من وجهة النظر السردية التي بنى الكاتب من خلالها وشكل ملامح تلك الشخصيات وصفاتها البنيوية.

وتكمن أهمية البحث في محاولاته الكشف عن جوانب عدة مهمة ومثيرة من ملامح تلك الشخصيات ذات المكون الثقافي والحضاري والاجتماعي العربي اليمني، ولكنها كانت مختلفة عن المحيط الاجتماعي الذي تعيش فيه في الدين والعقيدة والتشريعات التي تؤمن بها وتدين بها وتحكم تصرفاها وعلاقاتها بشريكها الآخر في الحياة والوطن والقيم المجتمعية والعادات والتقاليد، كذلك تكمن الأهمية في أثر وجهة النظر السردية التي يحملها الكاتب والروائي شمس الدين في محاولة كسر الحواجز والفوارق بينهما، والحيلولة دون ما كانت تقوم به فئة من المتنفذين في الديانتين -كما يرى – من فوارق وحواجز بين أبناء الوطن الواحد/اليمن في الحقوق والواجبات المشتركة التي كان عليهما القيام بها والنهوض بها اتجاه بعضهما واتجاه وطنهما اليمن.

أهداف البحث وغاياته

يهدف البحث إلى دراسة الشخصيات الروائية اليهودية في رواية "هفوة"، ووجهة النظر السردية المؤثرة فيها وفي تشكيل ملامحها وصفاتها دراسة فنية ومضمونية، وإبراز الطرائق الفنية في بناء الكاتب لتلك الشخصيات ، وأثر وجهة النظر السردية في إبراز تلك الملامح والصفات لتحقيق غايات وأهداف إيديولوجية وسياسية طارئة يود الكاتب استحداثها وترسيخها في المجتمع الروائي/المجتمع اليمني؛ بوصفها تمثل وجهات النظر العربية المعاصرة اتجاه المكونات الدينية التي تمثل الأقلية في البلاد العربية وفي مقدمتها المكون اليهودي، وما طرأ عليها من تحولات سياسية وثقافية وفكرية سوف يكون لها أثرها على العلاقات الحياتية على تلك المكونات الإنسانية المتعايشة داخل الوطن الواحد، والمختلفة في الدين والعقيدة والتشريعات المؤمنة بها، وإحلال قيم المواطنة والثقافة[١]، بمعنى أن البحث يهدف إلى الوقوف على ما يتطلع إليه المخيال الروائي في رواية "هفوة" من علاقات حياتية مستقبلية لتلك المكونات العربية المتحدة في الوطن والمشتركة في العادات والتقاليد والثقافة والحضارة مع اختلاف دياناتها ومعتقداتها الدينية من خلال دراسة شخصيات الكاتب اليهودية في روايته "هفوة"، وتحليل صفاتها وملامحها مضمونيًا وفنيًا في صورها وملامحها التي صورتها بها خيالات الكاتب بسام شمس الدين، وما تشي بها من تشكلات إبداعية ووجهة نظر روائية لها أثرها في ذلك كله.

مشكلة البحث والفرضية التي يطرحها

تتجلى مشكلة البحث في المغامرة الإبداعية التي يود الكاتب طرحها من خلال وجهة نظره السردية المشكلة للشخصيات الروائية التي شكلها وصور ملامحها وجسدها في روايته "هفوة" من خلال صورة بطلة الرواية "زهرة" اليهودية اليمنية، والشخصيات الروائية المحيطة بها، وطبيعة الحياة القلقة التعيسة والبائسة التي عاشتها "زهرة"؛ بسبب هفوتها وسقطتها التي وقعت فيها، وعدم قدرتها على إصلاح خطئها أو خطيئتها تلك مع شريكها المسلم "عولق" في الخطيئة؛ بسبب اختلافهما في

الدين والمعتقد والتشريعات الحاكمة والضابطة لحياتهما، على الرغم من اتفاقهما في وحدة الوطن والحياة والمعيشة والعادات والتقاليد والثقافة والحضارة العربية اليمنية، مما حدا بهما إلى مغادرة الوطن الأصلي اليمن إلى وطن طارئ مزعوم في فلسطين يعرف بالدولة اليهودية (إسرائيل)؛ بسبب ما تعرضت له "زهرة" و"عولق" من ضغوطات نفسية واجتماعية من جراء العادات والتقاليد والقيم الحياتية القائمة على اختلاف معتقدهما الديني بحيث شكلت لهما مظهرًا من مظاهر الاضطهاد الذي دفعهما إلى الهجرة والتحول والانتقال اللاإرادي إلى الوطن الجديد (إسرائيل) كبديل عن وطنهما الأصلي اليمن؛ لينعما فيه بالحرية والسعادة، والتخلص من كل ما يكدر لهما العيش والحياة.

ويفترض الباحث أن وجهة النظر التي شكلت أوصاف شخصيات الرواية اليهودية وملامحها كانت تدفع بالشخصيات الروائية إلى الإيحاء بمثل تلك الأهداف والغايات التي تكرس إلى إحلال الوحدة الوطنية والمكون الثقافي والاجتماعي الوطني المشترك بين الشخصيات محل المكون الديني للحيلولة دون ما تقوم به تلكم الفئات المتنفذة في الديانات من أحبار ورهبان يهود ورجال دين مسلمين من عوامل عزلة وفرقة بين أبناء الوطن الواحد المختلفين في الدين والمعتقد، واستبدال عقيدة المواطنة بالمعتقد الديني لضمان الوحدة والعيش المشترك السعيد.

الدراسات السابقة

لم أقف على دراسة تناولت شخصيات رواية "هفوة" اليهودية التي هي مدونة دراستي هذه أو دراسة مستقلة توجهت لدراسة هذه الرواية في أحداثها أو شخصياتها أو بنيتها الفنية أو المضمونية، لكن هناك إشارات في دراسات سابقة ومقالات صحفية لرواية "هفوة" هذه ولكاتبها بسام شمس الدين توضح أهمية هذه المدونة الروائية وآراء كاتبها الجريئة والمتمردة، وهي إشارات متيسرة ومحدودة؛ فقد ذكر هذه الرواية الباحث إبراهيم أبو طالب في بحث له نشره في مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية عن أعمال الروائي اليمني محمد عبدالولي بعنوان: الرواية اليمنية التحقيب الزمني والموضوعاتي، والتوظيف الحكائي في أعمال الروائي محمد عبدالوالي، حيث أشار أبو طالب في بحثه هذا لرواية "هفوة"، مصنفًا إياها من روايات مرحلة التسعينات اليمنية، ومن الأعمال الروائية اليمنية التي تطرقت للعلاقة بين مسلمي اليمن ويهودها، وكانت أدق إشباعًا لتفاصيله الصغيرة في الربط بين المخيال والتاريخ القريب، ولم أجد بعد هذه الإشارة دراسة تناولت هذه الرواية المهمة في موضوعها – في تقديري – بالدراسة والتحليل.

ولذلك وجهت اهتمامي إلى دراستها وتحليلها في جانب مهم من جوانب بنيتها الفنية، وهو بناء شخصياتها الروائية، وأثر وجهة نظر كاتبها في بناء تلك الشخصيات وتشكيلها بالصورة التي أخرجها عليها.

أسباب اختيار البحث

لقد كان وراء اختيار البحث في شخصيات هذه الرواية وأثر وجهة النظر السردية في تشكلاته أسبابًا عدة منها:

١- ما لمسته من أهمية هذا العمل الروائي من خلال شخصياته؛ حيث عالج فيها الكاتب مضمونًا مهمًا من المضامين التي هي محط جدل وحوار الحضارات في وقتنا الحاضر، وهو يتعلق بالتعايش بين الأديان والثقافات في العالم والوطن العربي منه بخاصة؛ إذ تتقاسم شخصيات

الرواية "هفوة" شخصيات مسلمة وأخرى يهودية عاشت في حالة من المواطنة والعلاقات الحياتية في شمال اليمن من جنوب الجزيرة العربية في النصف الأول من القرن العشرين.

٢- ما طرحه الكاتب من خلال شخصياته الروائية من وجهة نظر سردية كان لها أثرها في بناء تلك الشخصيات وإيحائها مضامين وأفكار عبر بها الكاتب من خلالها قمينة وجديرة بالدراسة والتحليل لتلمس أثرًا في القارئ المتلقي لهذا العمل الروائي.

٣- إن لدى الكاتب قدرة فنية في بناء شخصياته الروائية وتشكيل صورها بطرائق فنية تجعلها قادرة على النهوض بوجهة النظر السردية وذات أثر في الواقع الحياتي المعاش، وتحاول الدراسة الكشف عن هذه الطرائق والفنيات الروائية في بناء شخصيات الرواية.

٤- تطلع البحث إلى الكشف من خلال الدراسة والتحليل للشخصيات الروائية في "هفوة" علن علاقة الذات (الشخصية المسلمة) بالآخر (الشخصية اليهودية)، وما نجم عن تلك العلاقة من مآلات حياتية تطورت إليها الأحداث وتدافعت اتجاهها الشخصيات الروائية.

٥- الكشف عن مجموعة الأفكار والمرئيات التي عبر عنها هذا العمل الروائي من خلال وجهات النظر السردية التي شكلت شخصياته، وحاول المخيال الروائي التعبير عنها وترسيخها في الواقع المعاش، والتأثير بها في المتلقي لهذا العمل الروائي.

أسئلة البحث

إن الباحث باختياره دراسة عنصر الشخصيات الروائية ووجهة النظر السردية المشكلة لها في رواية "هفوة" وتحليل ملامحها وصفاتها يتطلع أن يجيب البحث على عدد من التساؤلات التي يتصورها الباحث لتطرح إجابات سوف توضح جماليات هذا العمل الروائي وأثره في الواقع المعاش وتحقيق الغايات والأهداف التي يتوخاها المخيال الروائي المبدع لهذا العمل الفني، ومن تلك التساؤلات:

١- ما الأفكار والرؤى السردية التي حاول الكاتب أن يعبر عنها من خلال شخصياته الروائية؟

٢- ما مدى قدرة الخيال الروائي في رواية "هفوة" على بناء ملامح الشخصيات وصورها حتى تنهض بوجهة النظر السردية للكاتب؟

٣- ما الطرائق الفنية التي سلكها الكاتب لبناء شخصياته حتى تعبر عن وجهة نظره السردية؟

٤- ما مدى حيادية الروائي أو انحيازه اتجاه الشخصيات التي نهضت بعمله الروائي ونطقت بآرائه وأفكاره من خلاله؟

٥- ما مدى مواءمة القضايا التي عبر عنها الكاتب من خلال شخصياته لطبيعة العلاقات الحياتية المعاصرة في عالمه الروائي؟

٦- ما طبيعة التأثير والتأثر بين زمن رواية الأحداث وزمن الأحداث الروائية؟

منهج البحث

إن دراسة الشخصيات الروائية من خلال ملامحها وصورها التي أخرجها الكاتب تقتضي مقاربتها بالمنهج السيميائي الذي يتخذ من العلاقة ووجهة النظر المشكلة لها دلالاتها البنائية الحاملة للرؤى والأفكار التي يود الكاتب التعبير بها من خلالها، كما أن الدراسة بجانب اعتمادها للمنهج السيميائي المهتم بالدلالة سوف يفيد من المنهج التأويلي القادر على تفسير تلك الدلالات والوصول بها إلى غاياتها الإبداعية التي توخاها المبدع للتأثير بها في واقعه والمتلقين لعمله الإبداعي، لذلك اعتمدت في

دراستي هذه المنهج السيميائي مستعينًا بالمنهج التأويلي لتلمس المراد من تلك الصور والملامح التي أبرز بها الكاتب شخصياته في روايته "هفوة".

التمهيد

عن رواية "هفوة":

تحكي رواية "هفوة" قصة فتاة يهودية يمنية تسمى "زهرة" عاشت أحداث حياتها في النصف الأول من القرن العشرين في العهد الإمامي الملكي، وكانت نشأتها في بيئة اجتماعية يهودية محافظة دينيًا واجتماعيًا في حي القاع من أحياء صنعاء، وهو حي يسكنه اليهود من أبناء اليمن خارج أسوار صنعاء العاصمة، وكانت "زهرة" على الرغم من التزامها بتقاليد اليهود وعادات المجتمع اليمني المحافظ تنزع نحو الخروج من قبضة الانغلاق والكبت المجتمعي بعاداته وتقاليده المحافظة المتشددة اتجاه المرأة وتمتعها بالحرية الشخصية، لكن ما لبثت "زهرة" أن تزوجت من أحد أبناء اليهود، ولكنها تنهي زواجها منه بخلعه؛ بسبب انشغاله عنها بأعماله الخيرية التي يقدمها لفقراء اليهود في القاع بعد أن أنجبت منه ابنة سمتّها "حنا"، وعندما تفقد "زهرة" والدها الحاخام المتشدد تشعر بالحرية والمسؤولية اتجاه نفسها وابنتها، فتتقدم للحاكم المسؤول (المقام الشريف) في مدينة صنعاء للحصول على ترخيص لها بافتتاح سمسرة/نزل /مضافة لاستقبال الغرباء من خارج صنعاء وتسكينهم وتقديم الخدمة لهم مقابل أجر يدفعه النزيل، ثم ما تلبث أن تقع في عشق أحد النزلاء من المسلمين اليمنيين الجنوبيين، إثر إعجابها بثقافته وهدوئه وأخلاقه الحضارية، وتنتهي تلك العلاقة الحميمة بينهما إلى "هفوة" توقعها في اجتراح المحرم فينجبا طفلًا خارج العلاقة الشرعية؛ نتيجة تلك الهفوة التي حدثت في حالة ضعف عاطفي وجنسي منهما، ولقد حاولا إنقاذ الموقف بالزواج، لكنهما وجدا أمامهما العقبات ما حالت دون زواجهما بسبب اختلافهما في الدين، وعادات وتقاليد المجتمعين اليهودي والمسلم، حيث تتسم العادات والتقاليد بينهما بالنفور من إقامة روابط الزواج بينهم؛ بسبب النظرة الدونية من المسلمين لليهود، وأنفة المسلم من الارتباط باليهودية في عقد زواج شرعي، وما يعتنقه اليهود من تعاليم توراتية، فأحبار اليهود في اليمن كانوا يحرمون زواج اليهودية من المسلم، ويعدونه حالة زنا مرفوضة دينيًا واجتماعيًا لديهم، وأمام هذه العلاقات الدينية والاجتماعية الرافضة لإصلاح هفوة العاشقين زهرة وعولق وحب وضع حمرة هفوتهما "عبدالمنعم" تعيش "زهرة" حالة من الخوف والخشية والترقب من المتعصبين اليهود بسبب افتضاح أمر هفوتها، وتسود الدنيا في وجهها، ولم تعد تستطيع العيش في مجتمع القاع اليهودي، فتقرر الرحيل على مضض وضيق وتبرُّم، وهي لا تود مفارقة وطنها الأصلي اليمن ومجتمعها اليهودي اليمني، لكنها تعقد عزمها على الرحيل هروبًا مما كانت تقرره الشريعتان اليهودية والإسلامية أو قل يقرر أحبار اليهود وفقهاء المسلمين، والعادات والتقاليد المجتمعية في اليمن التي تحول بين زواج المسلم من اليهودية والعكس[٢]، وترى تلك التقاليد في حرية الأشخاص في ممارسة علاقاتهم الحميمية عهرًا وعارًا ومنقصة ومذمة تلاحق صاحبها في حياته وبعد مماته، مقررة الرحيل مع عشيقها اليمني الجنوبي المسلم عولق وابنتها "حنا" وثمرتها من هفوتها "عبدو" إلى دولة إسرائيل الوطن الموعود، حيث رأت في حكومة إسرائيل العلمانية ليبرالية تهيئ مخرجًا لها من تبعات هفوتها التي وقعت فيها بسبب توقها للحرية الشخصية وتقديسها لها.

ورواية "هفوة" تنهض بالثقافة الروائية بمفهومها الفني فهي تدور على حدث مشوق وعلى صراع يؤدي بالعقدة إلى ما لا يتوقع لتكون النهاية منطقية، ولكنها مفاجئة، وتتميز رواية "هفوة" بتحليل الموضوعات ونحت معالم الشخصيات، كما هو حال وصف الكاتب/الروائي لشخصيات الرواية[٣].

تركز رواية "هفوة" اهتمامها على موضوع معين هو وضع الشخصية اليهودية في المجتمع اليمني المسلم، وخاتمة مفاجئة، وأثر على المروي له/القارئ أثرًا قويًا[٤] وهو رحيل بطلة الرواية "زهرة" من وظنها الأصلي اليمن إلى وطن جديد هو إسرائيل.

وتعد رواية "هفوة" من قبيل السرد التخيلي المتكئ على أحداث تاريخية، فقد تظافر المخيال الروائي للكاتب بسام شمس الدين مع الأحداث التاريخية القريبة (النصف الأول من القرن العشرين) في تكوين رواية "هفوة" أحداثًا وشخصيات، بمعنى أن نص رواية "هفوة" يتكون من نصين؛ نص الثقافة السابقة (العهد الإمامي الملكي) المحافظ في النصف الأول من القرن العشرين، ونص الثقافة الراهنة (العهد الجمهوري الثوري) في النص الثاني من القرن العشرين.

فالنص السابق يمثل الأحداث وزمانها وشخصياتها، ويمثل النص الراهن وجهة النظر السردية التي يحملها الراوي/ المؤلف لتلك الأحداث والأشخاص؛ إذ هو استدعاء لخطاب التاريخ الماضي لإنشاء خطاب الرواية الراهن[٥].

وتعد رواية "هفوة" من الروايات اليمنية الجديدة التي تمثل مرحلة التسعينات من القرن العشرين الميلادي، وتبدو جدتها في تناولها لمفاهيم حوار الحضارات، والأنا والآخر، وقضايا التعايش بين الديانات، ومحاولة الخروج بهذه القضايا إلى أفق العالمية؛ فقد تناولت موضوع اليهود كأقلية دينية مواطنة، وقضايا التعامل معهم في المجتمع اليمني المسلم، ونظرة المجتمع إليهم[٦]، وتعد شخصياتها من أبرز العناصر المكونة لهذا العمل الروائي، وقد أبدع الكاتب بسام شمس الدين - الذي تلبس بدور الراوي – في بناء تلك الشخصيات وتحميلها وجهة النظر الروائية.

ويختلف زمن أحداث رواية "هفوة" وشخصياتها عن زمن راوي الأحداث (المؤلف/الراوي)، مما كان له أثره في وجهة النظر السردية، فالرواية تصف أوضاعًا لليهود اليمنيين في مجتمع ما قبل الثورة اليمنية العاصرة (ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢)، أي في عهد النظام الإمامي الملكي المتوكلي الذي شغل الحكم في اليمن الشمالي (صنعاء) في النصف الأول من القرن العشرين، أما زمن راوي الأحداث فهو النصف الثاني من القرن العشرين (التسعينات الميلادية من القرن العشرين) حيث ينظر الراوي للأحداث الروائية والشخصيات الروائية مثالًا لحال المجتمع اليمني المتخلف في الشمال حضاريًا فقد كان أبناؤه بمن فيهم اليهود يعيشون في جهل وتخلف ثقافي وحضاري وتشدد ديني وخضوع للعادات والتقاليد المنافية للثقافة والحضارة الجديدتين كما هو حال زوج "زهرة" بطلة الرواية الجد سالم عبدول وأمها شمعة/المرأة الحرمك، ومرتادي المضافة/السمسرة من اليمنيين المحيطين بصنعاء، وعكفة الإمام، ورجالات دولته وأحوال صنعاء الاجتماعية، فلا يعرف أبناء اليهود في القاع ما هي المدرسة[٧]، وكان ذلك على عكس من نظرة الراوي/المؤلف لليمن الجنوبي (عدن) الذي كان مثالًا للتمدن الحضاري والثقافي بسبب الاستعمار الإنجليزي وقد مثل الراوي بـ"عولق"، المثقف الهادئ المكب على القراءة المضافة، والذي لفت نظر "زهرة" فعشقته وكان شريكًا لها في هفوتها.

لقد حاول الكاتب بسام شمس الدين أن يلطف في روايته هذه وقع القضايا الكبرى التي يطرحها من خلال شخصيات الرواية ووجهة نظره السردية وأفكاره التي يود أن يؤثر بها في متلقيه؛ فقد طرح قضايا تفكيك الصراع الديني بين اليهود والمسلمين وقضايا التنوع الثقافي والقبول بالآخر والتعايش بين أصحاب الديانات، فقد كان مؤلف "هفوة" هو مصدر التبئير ووجهات النظر المطروحة من خلال

الشخصيات الروائية، وهو الذي يروي الأحداث، وينطق الشخصيات وينشئ الهواجس والخواطر والمنولوجات في أنفس الشخصيات.

إنه هو المبئر والمبر والسارد والمسرود ويراني الحكي وجوانبه؛ لأنه هو الراوي الخارجي الذي يروي الأحداث، وهو الراوي الداخلي الذي ينطق الشخصيات الروائية، ويتلفظ بهواجسها وأحاديثها الداخلية والنفسية، فالناظم الخارجي – كما يقول سعيد يقطين – هو من يحكي القصة، وهو من يراني عنها، ويكون من بدايات الحكي مؤطرًا للحدث أو مقدمًا للفضاء العام الذي ستجري فيه القصة، وكثيرًا ما يتحول هذا الناظم الخارجي إلى ناظم داخلي يتوارى خلف الشخصيات وينطق بأصواتها، ويقدم لنا الحدث كما ينطبع في دواخله، ويدخل في علاقات حميمة مع القضايا، فتقد الأحداث لنا من وجهة نظره هو، ومن منظوره الخاص هو، كذلك عندما يركز على شخصية محورية مثل "زهرة" فيرصدها خارجيًا وداخليا ويتماهى معها، ولولا المسافة الموجودة بينه وبينها باستعمال ضمير الغائب لقلنا إن الشخصية هي التي تتكلم(٨).

ومن هنا نستطيع القول: إن وجهات النظر السردية الموجودة والمبثوثة في أحداث الرواية وبين شخصياتها هي رؤى المؤلف السردية ووجهات نظره هو شمس الدين التي توخاها من خلال أحداث روايته "هفوة" وشخصياتها؛ لأن الرؤية السردية أو وجهة النظر السردية هي من مكونات الخطاب الروائي، وهي تعبير عن حضور الراوي في الخطاب ودرجة ذلك الحضور(٩).

الشخصيات اليهودية في رواية "هفوة"

يمثل عنصر الشخصيات في رواية "هفوة" أهم العناصر البنائية المكونة للرواية، فهي التي تفعل الأحداث وتقوم بها، وهي التي تملأ الفراغات الزمنية بحركتها وتنقلاتها، وما تحدثه من أفعال، وهي التي تشكل الملفوظات الكلامية المجسدة للغة الرواية والسرد، والتي تشكل الخيوط الناسخة للعملية السردية المكونة للرواية، وهي الحاملة والمؤيدة لوجهة النظر السردية والرؤى والأفكار التي يحاول المؤلف التأثير بها في القارئ المتلقي لعمله الروائي.

والناظر في الشخصيات اليهودية في رواية "هفوة" يجد أنها تتنوع بتنوع علاقاتها بالمجتمع اليمني المسلم منه واليهودي، وقد جاءت على النحو التالي:

الشخصية اليهودية العامة:

أقصد بالشخصية اليهودية العامة هي الصورة الذهنية الساكنة والمطبوعة في الذهنية الجمعية والمنتزعة من عموم الشخصيات اليهودية الموجودة في الفضاء المكاني والزماني لمجتمع الرواية، وهي صورة ذهنية راسخة في لاوعي الكاتب انعكست في ذهنه من خلال رؤية المجتمع لهذه الفئة سواء تلك الذهنية التي كانت قبل الثورة، وهي ذهنية ذات تصور آت من التأثير الديني بين الإسلام واليهودية أو الذهنية ذات التصور الآتي من المؤثرات السياسية التي تشكلت وتبلورت في ظل ثورة (٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م) ذات المنحى صهيوني عالمي، كذلك خالط هذه الصورة الذهنية المحلية للشخصية اليهودية العامة صورة ذهنية آتية من مؤثرات الرؤيا العالمية للشخصية اليهودية هي صورة ذهنية ذات بعد حضاري تصور اليهودي انتهازيًا ومرابيًا وقوادًا ومتعهرًا بخيلًا، لكنا في رواية "هفوة" نستطيع القول: إن ملامح الشخصية اليهودية تشكل صورة خاصة بيهود اليمن تميزها بين الشخصيات اليهودية العربية والعالمية المعاصرة.

تبدو الشخصية اليهودية العامة في رواية "هفوة" شخصية ذات مكون عربي ومكون محلي يمني يشاكل موطنه اليمني المسلم في كثير من الصفات والملامح الحياتية في المأكل والملبس، والهيئة العامة والثقافة والعمق الحضاري اليمني(١٠)، والعادات والتقاليد الاجتماعية، والنزعة الدينية المحافظة، وقد عبرت بطلة الرواية "هرة" عن أصالة اليهود اليمنيين وعروبتهم، وارتباطهم بالأرض اليمنية وعمقها الحضاري في مخاطبتها لحاكم مدينة صنعاء، وكان قد غمزها وذكرها بالعهود والمواثيق المأخوذة على اليهود للعيش في بلاد العرب والمسلمين قائلة له :"إنها بلادنا أيضًا، أجدادنا خلقوا فيها مثل أجدادكم، لا ندري كم عدد السنين الفارقة، لسنا غرباء(١١)، لكن الصورة العامة للشخصية اليهودية صورة دونية بوصفهم مهمشين أصحاب دين محرف، ولا يعملون إلا في المهن الوضيعة كالحرف اليدوية والمهن التي لا يقبل أبناء اليمن من المسلمين العمل بها(١٢)، وينظرون إلى نسائهم الجميلات ذوات العيون الزرقاء والبشرة الرقيقة الحمراء محط شك وريبة وعهر ورذيلة(١٣)، ووسيلة للمتعة.

ويعد يهود اليمن من أقدم يهود العالم الذين عاشوا الشتات في بقاع المعمورة، فالبعض يرجع وجودهم لتاريخ ٥٨٦ ق.م، والبعض يقول: إنهم قدموا اليمن مع ملكة سبأ بلقيس عند عودتها من زيارة الملك النبي سليمان عليه السلام(١٤)، وكان يهود اليمن راضين بحياتهم في اليمن وسط مواطنيهم من المسلمين أيما رضا، على الرغم من علمهم بحركة الدولة الصهيونية في فلسطين، وأنه قد بات لليهود دولة وكيان سياسي، وكانت "زهرة" تتباهى بأن اليمن وطنها ووطن آبائها وأجدادها قبل الكثير من القبائل اليمنية المسلمة(١٥).

ولذلك تكاد رواية "هفوة" تخلو من تصوير اليهودي اليمني بصورة اليهودي الصهيوني، على الرغم من أن كاتب "هفوة" ينتمي إلى ذهنية الثورة اليمنية المعاصرة (٢٦ سبتمبر) التي تجعل من الشخصية اليهودية شخصية صهيونية عدوّة مغتصبة لحقوق العروبة، فهي آتية من السياسة التعبوية التي تحملها الذاكرة العروبية الإسلامية المعاصرة لليهود.

ومهما يكن من أمر فإن صورة اليهودي العامة الحاضرة في الذاكر ة الجمعية لها صداها في رواية "هفوة"، فعلى الرغم من أن كاتب "هفوة" لم يكن مهتمًا بمثل هذه الصورة المتدينة للشخصية اليهودية؛ لأن تعاطفه وغاياته من تأليف رواية "هفوة" هي محاولة كسر الحواجز الدينية في المجتمع العربي، وتقريب الثقة بين المسلمين واليهود، أو تجاهل المرجعيات الدينية في العلاقات والتعامل، إلا أن صدى الصورة العامة للشخصية اليهودية حاضرة في ثنايا الرواية؛ فوالد "زهرة" نجار يعمل في سوق الخشب بصنعاء(١٦)، وزهرة نفسها تعمل في سمسرة لا ترض الحرة اليمنية المسلمة بالعمل فيها حيث مخالطة الرجال الأجانب والسهر على خدمتهم مقابل المال(١٧) . وعبدالمنعم ابن زهرة من الهفوة لما قصد قاع اليهود لاحظ أنهم يعملون في حوانيت صغيرة، ويمارسون حرفًا غريبة لا يمارسها سكان المدينة، فهم إسكافية يصنعون النعال ويخسفونها ويصلحون التالف منها، وهم حدادون يضربون الحديد الساخن بمطارق ضخمة، وجزارون وفحّامون ودباغو جلود(١٨)، كذلك هم يعملون في تنظيف الحمامات ودورات المياه لسكان صنعاء، فقد جاء أحد المواطنين اليمنيين المسلمين إلى حي اليهود في القاع يبحث عن عامل يهودي ينظف له "مطهارة منزله" مقابل أجر مقداره ريالان، فلما عرض "عولق" نفسه عليه وكان يبحث عن عمل حدق فيه صاحب العمل وفي هندامه وقال يخاطبه: "هل أنت يهودي؟ أين قفة رأسك والزنانير المظفرة؟(١٩)

إن هذا الحوار الذي أبرز فيه الكاتب مقدار ما كان يواجه الشخصية اليهودية من تهميش ونظرة دونية يوحي لنا بوجهة نظر الكاتب/الراوي المعبرة عن موقفه الرافض لهذا النوع من التعامل الذي كان يمارس اتجاه المواطنين اليمنيين اليهود، كذلك صوّرت رواية "هفوة" اليهودي حريصًا مثابرًا على جمع المال والحرص عليه كما هو حال والد زهرة الحاخام حاييم إسحاق؛ فقد "ظل يقتصد في النفقة واضعًا البقشة فوق البقشة والريال فوق الريال حتى استطاع أن يجمع ثروة صغيرة من كد جبينه[٢٠]، وهذه الصورة ليست جديدة للشخصية اليهودية، فهي صورة تنزع إلى ما يحمله الكاتب في لاوعيه من مخزون الذهنية العالمية التي حفظت للشخصية اليهودية صفات الشح والحرص على المال كما صورها شكسبير في مسرحية تاجر البندقية[٢١].

وفي تقديري إن هذه النزعة اليهودية لجمع المال والحرص عليه إنما جاءت من تهميش العالم للشخصية اليهودية عبر التاريخ، ورغبة منها في السيطرة على العالم بامتلاكها المال لانتزاع حقوقها التي ترى أنها مهضومة في العالم، وتعويض عن تلك الحقوق التي ترى أنها مستلبة من الآخرين، وكذلك تظهر صورة الحرص اليهودي على المال حتى لا يذهب لسواهم من العالمين ما صور به كاتب "هفوة" زهرة اليهودية التي حرصت أن يكون البناؤون لسمسرتها من العمال اليهود دون سواهم من البنائين اليمنيين[٢٢]، كما تبدت صفة الارتزاق وأكل أموال الناس بالباطل باسم الدين من صفات أحبار اليهود وحاخاماتهم في رواية "هفوة" عندما ذكر الكاتب نزاهة الحاخام حاييم وأنه آثر الكسب من العمل بيده من أن يرتزق من العمل في الكنيس، وفي هذا إشارة من الكاتب توضح وجهة نظره الروائية اتجاه علماء اليهود من خلال وصفهم بأنهم يستولون على المال من عامة اليهود باسم الدين، وهذه صفة نأى الحاخام حاييم إسحاق بنفسه عنها.

وفي ظني أن قضية المؤلف في إلباس علماء اليهود بصبغة الارتزاق، وأكل أموال الناس باسم الدين هي مع الدين والتدين وليس مع عامة اليهود، فالكاتب تظهر منابزته واضحة لمتديني أي ملة وديانة كانت، ولذلك نجد مؤلف "هفوة" يمعن في غمز رجال الدين من اليهود بكل صفة قبيحة، لا ليهوديتهم بل لأنهم من علماء اليهود الأوصياء على تطبيق تعاليم التوراة، فقد وصف بسام شمس الدين "الحبر عزرا" مسجل عقود الزواج بعداوته للمسلمين، حين صور تلوك وجهه وإبداده حتى صار كالحصرة السوداء عندما سألته "زهرة" عن رأي الشريعة اليهودية في الزواج بالمسلم، وجاء جوابه عنيفًا قاطعًا[٢٣]، ومثله كان موقف الحاخام يعيش من الفتى عبدالمنعم عندما أخذته أمه "زهرة" إليه ليعالجه من العي والحصر في الكلام فغضب الحاخام يعيش عندما عرف أن الفتى مسلم و"زهرة" مهتمة به هذا الاهتمام وحريصة على إسداء الخير له، واشمأز من هذا وقال لها: "إن الله لا يلقي للمسلمين طرفة عين بعد أن أخرجوا يهود خيبر من جزية العرب ونفوا يهود المدينة، وحكموا بالموت على يهود بني قريضة[٢٤]".

ورفض حاخامات اليهود أن يختلط الدم المسلم بالدم اليهودي إذا ما تزوج "عولق" الفتى اليمني الجنوبي المسلم "بزهرة" اليهودية، فلجأوا إلى طرد "عولق" من إدارة السمسرة أثناء غياب "زهرة" ونعتوه بقولهم: "يا مسلم إياك أن تمني نفسك بالزواج بها"[٢٥].

إن مثل هذه الصورة التي يصور بها راوي "هفوة" وباني وجهة نظرها تمثل إمعانًا منه لإبراز مقدار فضاضة الالتزام الديني باليهودية والتدخل في حريات الآخرين باسم الدين.

إن كاتب "هفوة" يرسم هنا تجمد رجل الدين وإفساده لحياة الناس السعيدة باسم الدين أكثر منه تشويهًا للشخصية اليهودية العامة.

وإذا كانت هذه الصورة العامة للشخصية اليهودية اليمنية سلبية كما بدت وجهة نظر الكاتب /السارد شمس الدين فإن هناك ملامح شخصية إيجابية قد حفظها الكاتب للشخصية اليهودية، ولم يخضع الصورة النمطية الساكنة في الذهنية العالمية والذهنية العربية، فقد صور الولاء السياسي للسلطان الحاكم في اليمن من ملامح الصورة التي شكلت الشخصية اليهودية اليمنية في رواية "هفوة"؛ فهم يخاطبون الإمام الحاكم بالمقام الشريف وينقادون بسياسته ويرضون بها، فبطلة الرواية "زهرة" تعبر عن هذا الولاء السياسي بقولها مخاطبة زوجها الجد سالم عبدول بسبب انشغاله عنها بالأعمال الخيرية وقضاء شؤون فقراء اليهود في القاع: "ولا يأخذ مولانا وحامينا ولي أمر المسلمين كل هذا الوقت رغم مشاغله الكثيرة في المقام الشريف"(٢٦).

فهي تؤكد في خطابها هذا اهتمام الحاكم المسلم برعيته وقضاء أوقاته الطويلة في مقر عمله لحل قضايا المواطنين ومنهم اليهود أنفسهم، ويصف موقعه هذا بالمقام الشريف تكريماً له، وتقر وتعترف بولايته عليهم معشر اليهود بتعبيرها عن ذلك بهذا التركيب الإضافي "مولانا".

وأحبار اليهود الذين يصدون العولق من أن يتزوج "زهرة" هددوه بالشكوى على من وصفوه بحاميهم ولي أمر المسلمين إن هو لم يغادر السمسرة ويبتعد عن زهرة: "هيا غادر المكان فورًا وإلا شكونا لحامينا ولي أمر المسلمين" (٢٧).

كما صور الشخصية اليهودية العامة شخصية متدينة محافظة على شرائع الديانة الموسوية، مترابطة مع فقهاء الديانة اليهودية والمشرعين فيها، كذلك هي شخصية عصامية مثابرة في العمل والكسب الشريف(٢٨)، كذلك بدت الشخصية اليهودية من وجهة نظر الكاتب بأنها شخصية محافظة على عادات المجتمع اليمني وتقاليده في صون المرأة والعناية بها والمحافظة على شرفها، كما هو حال الحاخام "حاييم إسحاق" مع ابنته "زهرة" عندما كان يساوره القلق عليها من جراء سلوكها المندفعة فيه نحو التمرد والخروج على تقاليد "الحرمك"، والاختلاط بمن في الشارع من شباب اليهود والمسلمين وضيقها بالحجاب وتبرمها من الجلوس في البيت(٢٩)، وكان الحاخام يعيش متدينًا حازمًا في تطبيق الشريعة اليهودية الموسوية، وتوخيه عدم النظر لمفاتن "زهرة"، وهي تخاطبه مستفتية له في الخلع من زوجها سالم عبدول(٣٠)، كما قيدت إنصاف الشخصية اليهودية بتخلقها بأخلاقيات ثقافة العار والمحافظة على الحرم/المرأة، والحيلولة دون مخالطتها للرجال، حيث عارض اليهود عمل "زهرة" في السمسرة؛ لأنها امرأة ويؤدي بها ذلك لمخالطة الرجال الأجانب عنها، ورفعوا اعتراضهم للحاكم متذرعين بأنها يمكن أن تكون عرضة للتحرش أو الوقوع في الهفوات السلوكية المحرمة، وحاولوا إسقاط أهليتها لامتلاك السمسرة أمام الحاكم(٣١).

إن هذه الصفات التي تتصف بها الشخصية اليهودية العامة آتية في تقديري من تأثر اليهود اليمنيين بمواطنيهم من يمنيين المسلمين، فالغيرة على المرأة ومنعها من مخالطة الرجال الأجانب وحجبها في البيت والاعتقاد بضعفها؛ كل هذه الصفات والملامح تكاد لا توجد لدى يهود العالم كما هي لدى اليهود اليمنيين في شخصيتهم العامة بالالتزام بالمظهر اليهودي، فقد كان يهود اليمن محافظين على قفة الرأس كما يسميها اليمنيون، والزنار وهو الخصلتان المتدليتان من شعر الرأس على الصدغين(٣٢) .

إن ما سبق من رسم الصورة الشخصية اليهودية اليمنية العامة بتنوعها بين الصور الإيجابية والصور السلبية ليظهر مقدار استقلالية الكاتب بسام شمس الدين وحياديته في رسمه الصورة الشخصية اليهودية اليمنية، وانفكاكه من قبضة الصورة النمطية العالمية للشخصية اليهودية.

وهذا يوضح لنا الثقافة الجديدة التي بدأت تظهر لدى الجيل الروائي العربي الجديد ومنهم بسام شرف الدين في روايته "هفوة"، فلم يعد هاجس العداء بين اليهود والعرب محرضًا رئيسيًا في تناول الشخصية اليهودية في المخيال العربي، كما بات الخيال العربي يجد الفرق بين الشخصية اليهودية والشخصية الصهيونية من خلال رسم شخصيات يهودية طيبة ومتسامحة ووسطية في النظرة للعرب والمسلمين في شكل من أشكال التصالح مع الآخر[٣٣].

ملامح الشخصيات اليهودية الدينية

الشخصية اليهودية الدينية في رواية "هفوة" شخصية ملتزمة بتعاليم التوراة وتشريعاتها، حريصة على حث المجتمع اليهودي وحمله على العمل بها وتطبيق تشريعاتها وبثها بين أفراد اليهود؛ فوالد "زهرة" الحاخام "حاييم إسحاق" شخصية دينية معروفة في المجتمع الصنعاني عند اليهود والمسلمين على حد سواء.

وقد صوره كاتب "هفوة "مؤمنًا بكل ما أنزل على موسى من التوراة"[٣٤]، محافظًا وغيورًا على حرمات الله وعصاميًا بعيدًا عن الشبهات والارتزاق وأكل أموال العامة باسم الحاخامانية، والقيام الكنس، وكان يعمل بكسب يده من العمل بنجارة الخشب في سوق صنعاء[٣٥]، وكان حاييم إسحاق متماهيًا مع عادات اليمنيين وتقاليدهم، وتعاليم الإسلام فيما يخص وضع المرأة في المجتمع، وكان يحمل ابنته "زهرة" على التستر والالتزام بالأخلاق الفاضلة والحياء والاحتشام وأداء الطقوس الدينية في المناسبات وأماكن العبادات اليهودية [٣٦].

إن هذه الصورة الحسنة التي يرسخها راوي "هفوة" لوالد "زهرة" تؤكد ما ذهب إليه بعض الباحثين من توجهات جديدة للروائيين العرب في العقود المتأخرة في تخليص صورة اليهودي من كل ما علق بها من سمات سلبية، وتحويلها لسمات إيجابية، وأن السبب كان سياسيًا يكمن في رغبة الكاتب العربي في المهادنة والسلام، وتغليب النظرة الإنسانية على النظرة الدينية، والرغبة في التقارب والاندماج بين الطوائف الدينية في الوطن العربي بدلًا من العنف والصراع، وإلى ظهور قوى ثقافية في العالم العربي تدعو إلى الفصل بين الدين والسياسة، وإذابة الفروقات بين الأديان رغبة في التعايش السلمي، واستجابة لدعوات التطبيع الثقافي، والانتقال بالمنطقة من ثقافة المواجهة إلى ثقافة السلام[٣٧] .

تكاد تكون شخصية رجل الدين اليهودي اليمني مشابهة لعلماء الدين الإسلامي في اليمن فيما يخص التشدد والتسامح، والموقف من المرأة، وتولي شؤون المجتمع الدينية، فلقد وجه الحاخام حاييم إسحاق ابنته زهرة بالتستر باللباس الصنعاني الشراشف الواسعة المهلهلة[٣٨] ، وكان شديد الغيرة على ابنته زهرة حريصًا عليها من الانحرافات السلوكية[٣٩]، كما وُجد بين يهود اليمن رجل الدين المتشدد مثل حاييم إسحاق، وُجد رجل الدين المتسامح مثل الحاخام "يعيش" الذي كان يتسم بالصلاح والتقوى والخوف من الله، فيجتنب المحرمات، فنجده يتحاشى النظر إلى "زهرة" وهي تستعرض مفاتنها أمامه لتقنعه بفسخ عقد زواجها من زوجها سالم عبدول حتى "ذعر ..مما رأى طرفه بحركة صارمة تنم عن تذكر.. ثم صرفها من أمامه بغضب حتى لا يغويه الشيطان وصار يطلب من الله الرحمة

والمغفرة"[٤٠]، وقد استخدم "يعيش" صلاحياته كرجل دين يفسر التوراة وفسخ عقد "زهرة" من زوجها سالم عبدول[٤١].

إن علماء يهود اليمن شخصيات دينية مؤمنة بالرب على الديانة الموسوية، مخلصة لدينها متفانية في عملها وفي خدمة أبناء جنسها من اليهود، متعايشة مع مشاركيهم في الوطن من المسلمين، يحبون وطنهم ولا يودون الخروج منه أو مغادرته، لكنهم في قرارة دواخلهم النفسية لا يوادون المسلمين ولا يخلصون لهم المعاملة، ويحملون عليهم الضغائن القديمة من أيام بني قريضة ويهود المدينة المنورة، فالحاخام "يعيش" الذي يعد من أحبار اليهود المتسامحين يشمئز من عبدالمنعم عندما يعرف أنه مسلم، وكانت "زهرة" قد أحضرته إليه في يوم سبت السبوت لكي يعالجه من العي وعدم الكلام، فقال لها مظهرًا عداوته للمسلمين: "إن الله لا يلقي إلى المسلمين طرفة عين بعد أن أخرجوا يهود خيبر من جزيرة العرب ونفوا يهود المدينة، وحكموا بالموت على يهود بني قريضة"[٤٢].

كما ظهرت عداوة أحبار اليهود للمسلمين من تجمعهم على "عولق" في غياب "زهرة"، وكانت قد عهدت إليه بإدارة السمسرة، وطردوه من السمسرة، معبرين عن رفضهم أن يمني نفسه بالزواج من يهودية ويحتل مكانها في السمسرة، قائلين له: "أيها المسلم إياك أن تمني نفسك بالزواج بها، هل تفهم؟"[٤٣].

لقد حاول الكاتب في روايته "هفوة" أن يسرد ملامح الشخصية الدينية اليهودية، وأن يجعل منها مرادفة لعلماء الدين من اليمنيين المتشددين منهم والمتسامحين.

ويمثل الحبر سالم عبدول جانبًا آخر من جوانب صورة رجل الدين اليهودي اليمني التي يتسم بفعل الخير لأبناء ديانته من خلال انخراطه بالعمل الخيري ومسؤوليته عنه اتجاه فقراء يهود القاع والمؤسسة الخيرية اليهودية التي يقوم عليها، وهو مخلص متفان في عمله الخيري هذا، ويرى في إخلاصه وتفانيه تقربًا إلى الرب وكسبًا لرضاه، وهذا يصور تماسك المؤسسة الدينية اليمنية حينذاك إنه كما يقول: "مسؤول أمام الرب عن رقاب ألف عائلة يهودية فقيرة"[٤٤].

وهكذا بدت المؤسسة الدينية اليهودية متماسكة فاعلة في حياة اليهود اليمنيين متأثرة بالبيئة اليمنية لعلماء المسلمين اليمنيين.

صورة المرأة اليهودية

رسم راوي "هفوة" ملامح شخصية المرأة اليهودية من خلال ثلاث شخصيات أنثوية هن: الأم (شمعة)، والبنت (زهرة)، وبنت البنت (حنا).

والناظر في ملامح هذه الشخصيات النسائية اليهودية يدرك مدى اندماج المرأة اليهودية في المجتمع اليمني، وتلبيها لعادات وتقاليد المرأة اليمنية المسلمة باعتبارها باتت جزءًا أصيلًا منه، وليست عنصرًا طارئًا عليه؛ فأم زهرة تحمل اسمًا من البيئة اليمنية بل يكاد يكون خاصًا بتلك البيئة "شمعة"، وكانت "شمعة" مثل أي امرأة يمنية تمثل دور المرأة/ الأم/ ربت البيت الضعيفة أمام الرجل، وكان زوجها الحاخام حاييم إسحاق - صاحب الشخصية القوية داخل المنزل - يود منها أن تكون أداة فاعلة في مراقبة البنت "زهرة" وكابتة وقامعة لها من مظاهر الثورة والتمرد على نظامه الديني الأسري الذي يوده أن يسود داخل الأسرة.

ولكن الأم "شمعة" الضعيفة الشخصية لم تقوَ أمام تمرد ابنتها "زهرة" على تنفيذ رغبات الأب؛ لأنها كما صورها راوي "هفوة" ضعيفة بالفطرة وغير مبالية بغيرة الحاخام"[٤٥]، ولأنها جاهلة لا تميز بين الخير والشر، وليست على وعي وإدراك بمقاصد الديانة التي تدين بها، فهي يهودية بالفطرة والعادة، فاقدة للوعي بما يدور حولها من معركة سلوكية بين الأب المحافظ والبنت المتمردة، فلا تشاطره الإحساس بالغيرة على ابنتها المتمردة على تقاليد الدين والمجتمع فيما يخص جسدها وحريتها الاجتماعية، ولم تكن الأم جادة في رقابتها على "زهرة" بالطريقة التي يودها الأب، بل تركت الأمور تجري في مجراها الطبيعي بحسب ما توده البنت "زهرة" وتشتهيه من حياة[٤٦] .

إن صورة "شمعة" لا تكاد تختلف عن صورة الأم اليمنية الملتزمة بنظام (الحرمك) الطاعة والخضوع للذكر، وإدارة شؤون البيت من طبخ وكنس وغسيل وتربية، فهي متبعلة للزوج خاضعة له، لا حظّ لها من القيادة والسلطة داخل الأسرة ولا خارجها.

أما الحفيدة "حنا" فهي مثال للفتاة المنخرطة في خدمة بيت الأسرة وطاعة الأم طاعة عمياء، فقد كانت "حنا" تعمل في السمسرة، وتساعد أمها "زهرة"، وكانت فتاة حيية وخجولة غير مثيرة وبعيدة عن الأهواء والشبهات تتسم بحب الخير والتفاني في الخدمة[٤٧].

صورة زهرة

تمثل زهرة بطلة رواية "هفوة" البادئة لأحداثها والخاتمة لها والمالئة لفضاءات الرواية الزمنية والمكانية والحاضرة في عموم أحداثها.

وإن كان لزهرة حصتها من صورة المرأة اليهودية في علاقتها بالرجل من حيث العموم إلا أنها كانت شخصية يهودية نسائية لها مميزاتها كشخصية بناها راوي "هفوة" وحملها كثيرًا من الصفات والملامح ليعبر بها عن وجهة نظره اتجاه المكون اليهودي اليمني في علاقته بالمجتمع اليمني المسلم.

تمثل رواية "هفوة" سيرة ذاتية أو رواية السير ذاتية لبطلتها "زهرة" إحدى بنات الجالية اليهودية اليمنية التي عاشت في حي القاع اليهودي من مدينة صنعاء، وهي تنتمي لأسرة يهودية دينية محافظة، فقد كان والدها أحد حاخامات يهود القاع[٤٨]، ولكنها ما لبثت بعد بلوغها الجسدي أن مالت نحو حياة التمرد على كل ما يعارض رغباتها ويحول بينها وبين تمتعها الشخصي بالحياة وبطاقاتها الجسدية العقلية خارجة على قوانين الديانة اليهودية وتشريعاتها، وعادات المجتمع اليمني وتقاليده الاجتماعية المحافظة، فقد بدت "زهرة" بعد بلوغها الجنسي تواقة نحو الحرية والتحرر من محرمات وموانع ومحظورات الديانة اليهودية الموسوية وتشريعاتها التي تلتزم بها أسرتها، كذلك التحرر من سلطة المجتمع اليمني المسلم في عاداته وتقاليده المحافظة.

وبعد وفاة والدها استطاعت الفكاك من تلك الحياة المانعة لها من كل ما تود عمله في نفسها، فأول ما بدأت به هو فك عقد زواجها من زوجها الحبر اليهودي سالم عبدول الذي اختاره لها والدها ليأمن من ثورتها الحياتية على عادات وتقاليد الأسرة؛ لأن سالم عبدول لم يكن يرضيها فراش الزوجية، وكان منشغلًا عنها بالانخراط في العمل الخيري الذي كان يستولي على جل وقته[٤٩] ثم أخذت تشق طريقها في شكل من أشكال الحرية البانية والمشكلة لحياتها المستقبلية، مستغلة جمالها وفتنة جسدها.

وطاقاها العقلية الواعية بالحياة من حولها، وبطرائق تحقيق النجاحات فيها، حيث رأت أن عليها الاعتماد على نفسها، فقد أصبحت بدون عائل هي وابنتها، وما عليها إلا "أن تدفع ثمن تحررها وهو

البحث عن مصدر للعيش"[٥٠] حتى فطنت إلى فكرة بناء سمسرة (نُزل للمسافرين القادمين إلى صنعاء .. تؤجرها فيها الدكاك للنوم وتقدم فيها الوجبات والقهوة[٥١]، عندئذ تطورت حياتها وجرى المال بين يديها، مستفيدة من حسن تعاملها من النزلاء وإقبال النزلاء على سمسرتها للفوز بالنظر إليها والتعامل معها لازدهار مفاتن جسدها المغرية للرجال، وتحررها في التعامل مع الآخرين، وفي غمرة هذه الأحداث المتوالية المتطورة وقعت "الهفوة" التي غيرت حياتها، حيث أقامت علاقة حميمية مع شاب يمني جنوبي مسلم اسمه "عولق" أعجبت بشخصيته المثقفة الهادئة النبيلة في الخلق والتعامل، وبادلها الإعجاب حتى استسلما في لحظة من حالات طغيان الشهوة الجنسية[٥٢]، صحت "زهرة" بعد سقطتها هذه على عالم جديد من علاقتها بمجتمعها اليهودي والمسلم المحافظين الرافضين لمثل هذه "الهفوات"، ولقد حاولت "زهرة" على مسار أحداث الرواية أن تقاوم مختلف الضغوطات الدينية والاجتماعية مع شريكها في "هفوتها" اليمني المسلم بالسعي لإيجاد حلول لهفوتها لدى المشرعين اليهود والمسلمين، لكن دون جدوى إلا أن "تسلم زهرة أو يتهود عولق"[٥٣]، لكن "زهرة" انتهت إلى أن حياتها في وطنها الأول اليمن لم تعد تطاق فلم تستطع بعد اليوم الجمع بين توقها للحرية الشخصية وبين ما يحيط بها من تشريعات دينية يهودية وإسلامية، وعادات وتقاليد وأعراف اجتماعية، نابذة ورافضة لما آلت إليه حياتها وحياة شريكها في الهفوة "عولق" وابنها من "الهفوة" عبدالمنعم، فقررت الرحيل إلى وطن آخر هو إسرائيل حيث تحقق لها ما تسمع عنه من ليبرالية يهودية في الدولة الصهيونية، والعيش في حرية في ظل وضعها الذي آلت إليه، فقالت مخاطبة ثمرتها من الهفوة عبدالمنعم بعد أن ضاقت بها الحياة وتريد أن تتمتع بأمومتها له: "سامحني يا بني، الحياة هنا قاسية جدًا والفقهاء والأحبار الذين يتحكمون بأفعال الناس وأقوالهم ونواياهم ويجبرونهم على التنكر لأدوارهم الحقيقية في الحياة"[٥٤] .

لقد نطقت "زهرة" بوجهة النظر السردية التي أراد المؤلف شمس الدين أن يحملها روايته "هفوة"، أو قل أنطق بها بطلة الرواية "زهرة"، حيث رد السبب في رحيل "زهرة" ومفارقتها وطنها إلى فقهاء اليهودية والإسلام وفهمهم لنصوص الشريعتين التوراتية والقرآنية.

لقد شكلت "زهرة" العمود الفقري لهذا العمل الروائي فقد بدأت في أحداثها من أول عبارة فيها، ثم تطورت بتطور حياة "زهرة" وتحولاتها المجتمعية، وكانت "زهرة" في مرحلة من مراحل حياتها التي فارقت فيها وطنها اليمن إلى وطنها الجديد إسرائيل هي خاتمة الرواية، لقد تطورت أحداث الرواية عبر مراحل عمرها، ولذلك نستطيع القول: إن رواية "هفوة" تمثل الرواية الشخصية أو الرواية/ السير ذاتية الغيرية؛ لأن "زهرة" لم تكن ضمير المتكلم في الرواية وتحكي حياتها بل كان المؤلف هو من قام بدور الحاكي الراوي.

بدأ الكاتب/الراوي رواية "هفوة" بتصوير شخصية "زهرة" لحظة بلوغها واكتشافها تحولات جسدها الأنثوي[٥٥]، أي أنه بدأ الرواية من وسط مرحلة من حياة البطلة، وهذه ثقافة فنية روائية سلكها شمس الدين في عمله الروائي هذا، فالرواية كما تقول سيزا قاسم: "تبدأ وسط الأشياء... وفي لحظة من حيوات الشخصيات"[٥٦].

ملامح زهرة الجسدية

صورت الرواية "هفوة" بطلتها "زهرة" تصويرًا جسديًا نابعًا من الخيال العربي المسلم، وما يحمله من صفات للمرأة اليهودية[٥٧]، فقد جاءت صورتها الجسدية تتسم بالجمال والفتنة والإغراء والغواية

فهي طويلة القامة، لدنة، ذات عيون زرقاء، وأرداف مقوسة تتماوج وتهتز عند أقل حركة، ومؤخرة بارزة، وصدر ناهد، وشعر طويل ومنسدل ومنسكب كسنابل الشعير[٥٨]، هذه صفات قد كان لها أثرها على الإيحاءات التي كان الكاتب يود أن يوصلها إلى المتلقي عن المرأة اليهودية اليمنية التواقة للحرية والتحرر للاندماج مع مواطنها اليمني المسلم بعيدًا عن التنافر الديني، فزهرة شخصية بؤرية الإدراك قادرة على نقل وجهة نظرها من خلال ملامح شخصيتها[٥٩]، وهي كما يسميها هنري جمس "المرآة العاكسة" وهي عند آن بانفلد ذات الوعي المبئر"[٦٠].

إن هذا الصفات الجسدية التي ألبسها الراوي/ المؤلف شخصية زهرة" تؤكد النظرة النمطية للمرأة اليهودية بأنها مصدر إغراء ومستغلة لجسدها في حياتها وعلاقتها بالآخرين، يتضح هذا في استغلال "زهرة" جسدها أمام الحاكم، وهي تتقدم للحصول على افتتاح "السمسرة"، قررت دخول صنعاء فطوت ستارة حمراء حول جسدها، وانطلقت صوب المقام الشريف ... وعندما جاء دورها دخلت تهز جسدها اللدن بقامة طويلة وخلفية متماوجة مزرورة تتراقص، فتأثر بجرأتها وحسن تكوينها، وشرع يتنبه إلى مفاتنها حين تخلصت من ستارتها متعللة بحرارة الصيف" [٦١]، عند ذاك ظفرت بالرخصة من الحاكم بل منحها قرضًا يعينها على افتتاح السمسرة، ووعدها بالحماية[٦٢]، وعبر عن تأثره بجمال جسدها بقوله لمن حوله: "لا أدري لماذا كتب علينا الشقاء معشر المسلمين، فنرى اليهوديات الجميلات يفلتن من أيدينا"[٦٣].

لقد وظف الكاتب هذا المشهد الجسدي الإغرائي الذي بدت به شخصية "زهرة" كذلك لغمز النظام الحاكم السابق على الثورة اليمنية الذي يعد الكاتب شمس الدين من أبنائها، فوصف ذلك النظام بالفساد والنفاق السياسي، لكن الكاتب إن كان أدرك أم لم يدرك أن هذا الموقف من الحاكم اتجاه امرأة يهودية جاءت تطلب إذنًا لها بالعمل من أجل الكسب منه، مثلها مثل أي مواطنة يمنية يعبر عن حسن تعامل الحكام المسلمين مع الفئة اليهودية المعايشة لهم في أوطانهم.

صورة زهرة النفسية

لقد تعددت ملامح "زهرة" المشكلة لصورتها في رواية "هفوة" ولا غرابة أن تتعدد ملامح شخصية "زهرة" هذا التعدد المكون لصورتها، فالشخصية تعد عنصرًا فنيًا أساسيًا في العمل الروائي[٦٤]، فكيف إذا كانت هذه الشخصية هي بطلة الرواية ومركز أفكارها، ومجال المعاني التي تدور حولها الأحداث، فالأفكار تحيا في الشخصيات وتأخذ طريقها للمتلقي"[٦٥]. وما رأيناه من جسد فاتن لزهرة يستدعي ملامح نفسانية بارزة في صورتها ومؤثرة في شخصيتها، فزهرة شخصية نامية تتطور وتنمو عبر الرواية بصراعها مع الأحداث والمجتمع المحيط بها[٦٦]، وملامحها النفسية تواكب تطور شخصيتها ونموها.

إن بزوغ ملامح شخصيتها النفسية بدأت مع بدايات إدراكها لنمو جسدها وبلوغها مرحلة الشعور الجنسي، عبر عنه كاتب "هفوة" بذلك المنولوج الداخلي الذي جاء على شكل هواجس نفسانية حال إدراك "زهرة" أنها بلغت مبلغ الأنثى المعجبة بتفتح جسدها وبروز نتوءاته الأنثوية الجنسية.

إن هذه الحالة تخيلت لزهرة كما قالت في خاطرها "مثل حلم بهيج ينتزعنا من قرعات عنيفة على باب موصد"[٦٧]. هكذا حدثت زهرة نفسها وهي تشعر بتغيرات جسدها الأنثوي في مواقعه الجنسية.

وإذا كانت هذه أولى بدايات ثورتها النفسية الآتية من ثورة جسدها الأنثوي فإن أولى ملامحها النفسية توقها للحرية والتحرر من سلطة المحافظة الأسرية التي تطبق عليها ثم من سلطة التشريعات التوراتية التي يلمزها والدها بها.

لقد بدأت "زهرة" بإعجابها بجسدها الفاتن، وعدم الحرص على ستر مفاتنه، كذلك في غرورها بذاتها الحاملة لهذا الجسد الجميل، وإدراكها أنها محل إعجاب الفتيان اليهود والمسلمين واهتماماتهم، ثم أعقبت ذلك بتخففها من حجابها حين شعرت بتراخي السلطة الأسرية بسبب مرض والدها ثم وفاته، ثم ضيقها ذرعًا بخمول زوجها الجد سالم عبدول الذي اكتشف أنه لا يستطيع أن يجاري جسدها المتقد وعواطفها الجياشة في فراش الزوجية[٦٨].

كما تمردت "زهرة" على معارضة أحبار اليهود لها بالعمل في السمسرة؛ لأنها سيؤدي بها الحال لمخالطة الرجال الأجانب، وطلبوا من الحاكم المصرح لها بفتح السمسرة تحويلها إلى ملكية رجل من اليهود، وعللوا ذلك بما تتمتع به المرأة صاحبة المشروع من سمات تجعلها عرضة للهفوات[٦٩].

كما تبدت صورة "زهرة" النفسانية في ساديتها وشبقها الجنسي بتمردها على أخلاقيات المعاشرة الجنسية التي تتحلى بها المرأة في مجتمعها اليمني (اليهودي والمسلم) المحافظ، فقد كانت تميل في معاشراتها الجنسية مع زوجها عبدول إلى حالة من الهيجان والإنعاش الجسدي للوصول إلى الرعشة الجنسية[٧٠]، وفي لحظة من لحظات تبرمها من موانع وتحريمات المشرعين اليهود والمسلمين وكانت في خلوة مع عشيقها "عولق" تعرت له قائلة في لحظة سادية شبقية معبرة عن ثورتها التمردية الجنسية "اغرزه فيّ حتى الموت"[٧١]، كذلك نال تمردها الدين فطالما عبرت عن ضيقها وتبرمها من أحبار اليهود وعلماء المسلمين وتفسيراتهم لنصوص التوراة والقرآن وتشريعاتهما التي لم تكن تسد رغبتها وتوقها للحرية والتحرر والحيلولة دون تطلعاتها النفسية في إشباع شهواتها من الحياة، فقد طلبت من الحاخام "يعيش" أن يتجاوز التشريعات التوراتية التي تجعل عصمة الزواج بيد الرجل وتحرم خلع المرأة نفسها من عصمة الزوجية ويخلعها من زوجها سالم عبدول؛ لأنه لم يكن يرضيها جنسيًا في فراش الزوجية[٧٢]، كما شككت في الحجاب الإسلامي الذي تلتزم به المرأة الصنعانية، وأنه عادة من عادات الأتراك التي خلفوها في البلاد العربية[٧٣].

ولقد بلغت "زهرة" الذروة في تبرمها وضجرها وضيقها برجال الدين اليهود والمسلمين؛ لأنهم لم يجدوا لها في تشريعاتهم الدينية ما يبيح لها الاقتران والزواج من "عولق" المسلم شريكها في الهفوة لكي تصلح هفوتها، هناك عبرت "زهرة" عن ثورتها النفسانية وتمردها الرافض لهذا الفهم لنصوص الشرائع فقالت في خواطرها من خلال طرحها أسئلة مشككة ومتمردة في مقاصد رجال الدين من التضييق على الناس: " لقد ارتضى الطرفان المتنافران – تقصد هي اليهودية وعولق المسلم – الارتباط برباط الزوجية تحت راية الله، فما هو مبرر التحريم إذن"[٧٤]، ثم اتبعت تمردها الفكري هذا بتمردها الجسدي الجنسي عندما دخلت إلى غرفة المؤن من السمسرة حيث يوجد "عولق" شريكها في الهفوة وفي حالة نفسانية ثائرة كررت الهفوة معه قائلة له بلكنة يمانية شعبية تؤكد أصالة زهرة في الثقافة اليمنية والحياة المجتمعية منها: "اغرزه فيّ حتى الموت، افعل بي على رغم أنف اليهود والمسلمين"[٧٥].

إن مؤلف "هفوة" وراويها وقناعه الفكري "زهرة" يحاول أن يؤكد في وجهة نظر سردية عبر عنها على لسان زهرة تسامحه العقائدي الذي ينادي به بين اليهود والمسلمين، ودعوة المكونات اليهودية

والإسلامية المتجاورة في البلدان والأوطان إلى التخلص من التنافر الديني، والتحول بالمجتمعات العربية نحو خطاب العصر الحاضر السياسي الداعي إلى التعايش والتسامح، فإذا كان الراوئي اليمني علي المقري في روايته اليهودي الحالي حاول طرح قضية زواج فاطمة المسلمة من عشيقها اليهودي ليعبر عن الخطاب السياسي المعاصر المتسامح بين العرب وإسرائيل[٧٦] فإن بسام شمس الدين قد طرح قضية زهرة اليهودية وعولق المسلم ليدعو التشريعات اليهودية والإسلامية للاستجابة للخطاب السياسي المعاصر المتسامح بين العرب وإسرائيل [٧٧] .

وترى ضياء الكعبي أن مثل هذه التوسلات التاريخية التي توسل بها كل من المقري وشمس الدين في حل مشكلة التعصبات الدينية الكبرى لما تزل عاجزة عن بلورة أطروحة كبرى في محاربة التعصبات والكراهيات الكبرى، وأن الطارحين لها استفادوا منها في طرح خطاب سياسي متسامح مع اليهود[٧٨].

ملامح زهرة الحضارية

لم تكن زهرة شخصية يهودية ملتزمة بتعاليم الديانة اليهودية بعد مرحلة صباها، وحين ملكت زمام أمرها كانت زهرة بعد وفاة والدها على سيرة سلوكية مغايرة لمجتمعها اليهودي الذي كان جزءًا من صورة المجتمع اليمني في حياته الاجتماعية وثقافته وسلوكياته المجتمعية، فقد كانت "زهرة" متمردة اجتماعيًا على حياة "الحرمك" والتبعل للزوج والنظام الأسري، فهي تمثل المرأة المتحررة حضاريًا لكنها ذات شخصية تحاول أن تبدو قوية متماسكة رغم ما أنهكتها الصدمات الحياتية، والعاطفية، بدأ فشلها في زواجها من الجد سالم عبدول الذي كان مشغولًا عنها ولم يملأ عليها حياتها العاطفية والجنسية، وانتهاءً بالهفوة التي سحقت كبرياءها واعتدادها بنفسها بين مجتمع قاع اليهود.

كانت "زهرة" تشعر وتحس بجمالها، لكنها لم تكن ترضى أن تقدمه لأحد لا توده هي أو ترضى به أو لتلطفه فتعجب به، لكنها قد تضطر لاستغلال فتنة جسدها بكسب الآخرين ممن تقضي شؤونها لديهم، لكنها لم تكن مومسًا مبتذلة الجسد – كما هو حال أكثر يهوديات العالم – لقد كانت تدرك أن أكثر الوافدين على سمسرتها إنما يأتون لرؤيتها والتمتع للحديث معها، فقد ذاع صيت جمال "زهرة"، وفتنتها حتى خارج صنعاء[٧٩].

لم تحظ "زهرة" بوافر من التعليم، فالمجتمع اليمني كانت تتفشى فيه الأمية، ولا يعرف المدارس النظامية، لكن "زهرة" تتمتع بثقافة حضارية آتية مما اكتسبته سائر النساء الصنعانيات من العمق الحضاري اليمني البعيد عبر التاريخ، فهي متحدثة بارعة عندما تود الإفصاح عن حاجاتها، وتحسن التصرف حتى أمام أحبار اليهود وحاخاماتهم وفي حضرة المقام الشريف حاكم صنعاء [٨٠].

كذلك شخصية "زهرة" ذات بعد حضاري متطور وذوق رفيع في تعاملاتها مع الآخرين، فهي كانت تنفر وتزهد من عموم نزلاء سمسرتها؛ لأنهم كانوا يأتون من خارج صنعاء ويتسمون بالجهل والجلافة، وطالما ضاقت ذرعًا بتصرفاتهم اللامسؤولة، وأذواقهم المتدنية، لكن رأيناها ما إن تلتقي بعولق المثقف اليمني الجنوبي ابن عدن المتحضرة والمتطورة حتى تميل إليه وتستلطفه بسبب هدوئه وتصرفاته المسؤولة الحضارية وذوقه الرفيع في الحديث والحركة[٨١].

إنها تفضل أبناء اليمن الجنوبي (عدن) المتحضر والمتطور وتزهد وتنفر من أبناء اليمن الشمالي (صنعاء) المتخلفين حضاريًا، فلطالما اشتكت على الوالي كثرة تحرشهم بها واستعراض فحولاتهم أمام مفاتن جسدها.

وهنا نلمس إمعان الكاتب/الراوي بسام شمس الدين في مدح اليهود وتحضرهم من خلال تصويره شخصية "زهرة"، ووصف ذوقها الحضاري، مقابل تصوير توجسه من نزلاء السمسرة من اليمنيين الشماليين المسلمين، وما يصفونها به من خشونة في التعامل وجلافة في الحديث وسذاجة جنسية يحاولون إبرازها كلما لفتت زهرة أنظارهم بجسدها أو بحركة من حركاته الفاتنة داخل السمسرة[٨٢].

لقد خاطبت "زهرة" عولقًا عندما أحست برغبته في مغادرة السمسرة بسبب مضايقة اليهود له غيرة عليها منه، فقالت له ما يظهر ذوقها الحضاري وتود به أن تثنيه: "لمَ ترحل أنت نزيل هادئ تفي بسداد ما عليك للسمسرة.. لا شك أن لديك أسبابك الخاصة للرحيل، فالنزلاء هنا أغلبهم من المسلمين يأتون من الجبال البعيدة، ولا يفقهون شيئًا عن آداب السكنى في المدن"[٨٣]، لكن زهرة مهما حاولت الخروج من الطبقة الدنيا من المجتمع اليمني - وهي طبقة العمالة والحرفيين والسماسرة والخدم التي لا يعمل فيها أبناء اليمن وبناته الأصليون – فإنها لن تستطيع، ولا أكاد أتجاوز الحقيقة لو قلت إن سماح المقام الشريف (الوالي) لزهرة بفتح السمسرة والعمل فيها نابع من هذه الرؤية الدونية لليهود في اليمن، ولذلك وقع على ورقة اليهود الذين اعترضوا على امتلاك زهرة للسمسرة بقوله: "لقد اقتنعنا بمشروع زهرة اليهودية، وسوف تظل مالكة للسمسرة ما لم تقع في هفوة".[٨٤]

لقد كانت "زهرة" مواطنة يمنية مخلصة لوطنيتها ووطنها اليمن على الرغم من تلك المسحة القارة في اللاوعيها من كره المسلمين كلما ذكرت بالجزية أو أجدادها من يهود المدينة، وما وقع لهم من جلاء، كذلك هي ليست مهتمة بالصهيونية ودولة إسرائيل إلا عندما تسمع رغبة المسلمين والنازية الهتلرية في استئصالهم، ولم يكن قرارها في إسرائيل إلا بضغوطات نفسية واجتماعية تعرضت لها من مكوني مجتمعها اليمني بشقيه اليهودي والمسلم؛ بسبب هفوتها وافتضاح أمرها على الملأ، ومحاولة المجتمع والعادات والتقاليد مصادرة حريتها وإرادتها بالزواج ممن اختارته وعشقته، ورأت في التعاليم الدينية التي يدين بها المجتمع اليمني بشقيه المسلم واليهودي والأعراف الاجتماعية المقدسة في المجتمع اليمني ما يحول بينها وبين حريتها وإرادتها، ورأت فيما تسمعه عن ليبرالية إسرائيل بديلًا لتلك المعاني التي عانيا منها "إما أن تسلم زهرة أو يتهود عولق".

لقد عللت وجهة النظر السردية أسباب رحيل "زهرة" بوجود قوى مجهولة في وطنها الأصلي تناصبها العداء[٨٥]، ولا أظن تلك القوى المجهولة التي بثها الكاتب /الراوي المبئر صاحب وجهة النظر السردية في رواية "هفوة" شيئًا غير اصطراع الشرائع الدينية الإسلامية واليهودية ممثلة في أحبار اليهود وعلماء المسلمين التي جعلها مؤلف "هفوة" والراوي المحرك لشخصياتها سببًا في منع وجود رابط مقدس من الإرادة والحرية والحب بين "زهرة وعولق" وحالت بين "زهرة" وثمرتها من الهفوة عبدالمنعم أن تتمتع بأمومتها له.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة ملامح الشخصيات اليهودية في رواية "هفوة" للروائي اليمني بسام شمس الدين، وهي شخصيات عربية يمنية يهودية كانت جزءًا من المكون اليمني في النصف الأول من القرن العشرين، شاركت المجتمع اليمني قيم المواطنة والحياة الاجتماعية.

وقد كشفت الدراسة عن ملامح ثلاث صور لتلك الشخصيات تجلت في ملامح الشخصية اليهودية العامة، ومن الشخصيات الدينية، ثم ملامح المرأة اليهودية.

كما تناولت الدراسة وجهات النظر السردية التي شكلت بناء تلك الصور والملامح للشخصيات اليهودية، وقد نتج عن هذه الدراسة عدد من النتائج منها:

١- إن رواية "هفوة" من الروايات التي كثر تناول موضوعاتها في السنوات الأخيرة، وأن هذا الحضور يشير إلى اهتمام الكتاب العرب بالشخصية اليهودية في أعمالهم الروائية.
٢- إن الرواية من خلال شخصياتها تحاول طرح قضايا الآخر، وكيفية التعامل معه حضاريًا.
٣- تماهي الشخصية اليهودية في الرواية مع البيئة الحياتية اليمنية، وتأثرها بالطابع البيئي المحلي.
٤- تنوع صورة علماء اليهود اليمنيين بين متشدد ومتسامح تماهيًا مع صور علماء المسلمين اليمنيين.
٥- صورة المرأة اليهودية جاءت في الرواية نموذجًا للمرأة اليمنية في علاقتها بالرجل والبيئة المحيطة بها.
٦- صنع الكاتب شخصية بطلة الرواية لتكون قادرة على حمل وجهة نظره المبشرة بقيم التسامح بين أصحاب الديانات المختلفة، وتهيأتهم للتعايش السلمي.
٧- تعزز صور الشخصيات في الرواية قيم التسامح والتعايش، وتدعو رجال الديانات إلى طرح حلول لتحقيق ذلك.
٨- الدعوة لإحلال قيم المواطنة في علاقات أبناء الوطن الواحد محل الأديان والتعصبات القبلية.
٩- تمثل رواية "هفوة" من خلال بطلتها "زهرة" رواية سير ذاتية غيرية بنى أحداثها المؤلف/الحاكي لها.
١٠- تطرح الرواية إشكالية الحريات الشخصية بين أبناء الوطن الواحد مع تعاليم الأديان وتشريعاتها، وتبحث عن حلول لتلك الإشكاليات الحياتية.
١١- شعور يهود اليمن بأنهم جزء من المكون اليمني الوطني وانسجامهم مع مواطنيهم بعيدًا عن الانتماءات الصهيونية المعاصرة.
١٢- تكريس قيم التنوع الثقافي والحضاري في الأوطان والشعوب، بعيدًا عن التعصبات الطائفية والإقصاءات العنصرية المجتمعية.

هوامش البحث

(١) أبو طالب، إبراهيم، الرواية اليمنية، التحقيب الزمني والموضوعاتي والتوظيف الحكائي في أعمال الروائي محمد عبدالولي، مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية، مج٢، ع١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، ص ٢١، ٢٩.

(٢) السابق، ص٢٩.

(٣) انظر: شمس الدين، بسام، هفوة، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط١، ١٤٣٢، ٢٠١١، ص٥، ٦.

(٤) انظر: القاضي محمد وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٠، ص٢٢٤.

(٥) السابق، ص٢٠٠.

[٦] انظر: أبو طالب، إبراهيم، الرواية اليمنية، التحقيب الزمني والموضوعاتي والتوظيف الحكائي في أعمال الروائي محمد عبدالولي، ص٢١، ٢٨، ٢٩.

[٧] شمس الدين، بسام، هفوة، ص٨-١١، ٢٠ – ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ١٢٣.

[٨] انظر: يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٣م، بيروت، ص٣١٥.

[٩] السابق، ص١٧.

[١٠] انظر: صورة الغلاف الأخير من رواية هفوة.

[١١] شمس الدين بسام، هفوة، ص١٣٣.

[١٢] انظر: السابق ص٧٤.

[١٣] انظر السابق: ص٧٥.

[١٤] كيوان، مأمون، اليهود في الشرق الأوسط، الخروج الأخير من الحنتو الجديد، الأهلية للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٦م، ص٦٤- ٦٥.

[١٥] انظر: شمس الدين بسام، هفوة، ص١٣٣.

[١٦] انظر: السابق، ص٦.

[١٧] انظر: السابق، ص ٢٠-٢٤.

[١٨] انظر: السابق، ص٧٤.

[١٩] انظر: السابق، ص٢٨-٣١.

[٢٠] انظر: السابق، ص٦.

[٢١] انظر: دراج، فيصل، صورة اليهودي الغائمة في رواية غسان كنفاني، مجلة الكرمل، ع٥٣، ١٩٩٧م ص٢١-٣٢، وانظر: الأحمد، زياد، تحولات الشخصية اليهودية في الرواية العربية، مجلة العرب، السنة (٤٢) ع ١١٥٧٧، الأحد ٢٠٢١/١/٥، ص ١١/Alarab.co.uk

[٢٢] شمس الدين، بسام، هفوة ص٢١.

[٢٣] السابق، ص٤١.

[٢٤] السابق، ص٨١.

[٢٥] السابق، ص٤٥.

[٢٦] السابق، ص١٣.

[٢٧] السابق، ص٤٥.

[٢٨] انظر: السابق، ص٦،٨،٩،١٣،١٤،١٦،١٧،١٨.

[٢٩] انظر: السابق، ص٢٢.

[٣٠] انظر: السابق، ص١٧،١٨.

[٣١] انظر: السابق، ص٢٢،٢٣.

[٣٢] انظر: السابق، ص٢٩.

[٣٣] القاضي، كوثر، صورة اليهودي في الرواية العربية الحديثة، نماذج مختارة، مجلة جامعة الطائف للعوم الإنسانية، ١٤١١هـ، مج٥،ع٩، ص ٤٠٧-٤٠٩.

[٣٤] شمس الدين، بسام، هفوة، ص٦.

[٣٥] السابق ص٦،٧.

[٣٦] انظر: السابق، ص ٧،٨.

[٣٧] انظر: متولي، محمد سيد، صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة، رؤية سردية مغايرة، رسالة المشرق، ص٧١،٧٣.

[٣٨] انظر: شمس الدين، بسام، هفوة، ص٨.

[٣٩] انظر: السابق، ص ٦-٧.

[٤٠] انظر: السابق، ص١٧،١٨.

[٤١] السابق، ص١٧.

[٤٢] السابق، ص ٨٠،٨١.

[٤٣] السابق، ص٤٥.

[٤٤] السابق، ص٩-١٤.

[٤٥] انظر: السابق، ص٨-٩.

[٤٦] انظر: السابق، ص٨- ٩.

[٤٧] انظر: السابق، ص٧٧- ٧٩.

[٤٨] انظر: السابق ص٦.

[٤٩] انظر: السابق، ص٩-١٩.

[٥٠] انظر: السابق، ص١٩.

[٥١] انظر: السابق، ص٣٨-٤٢.

[٥٢] انظر: السابق، ص٣٨-٤٠.

[٥٣] انظر: السابق، ص٤١،٤٦.

[٥٤] السابق، ص٧٧.

[٥٥] السابق، ص٥.

[٥٦] قاسم، سيزا، بناء الرواية (مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤)، القاهرة، ص٤٣-٤٤.

[٥٧] انظر: الأحمد، زياد، تحولات الشخصية اليهودية في الرواية، مجلة العرب، السنة (٤٢)، العدد (١١٥٧٧)، ص١١، الأحد ٢٠٢٠/١/٥م.

[٥٨] انظر: شمس الدين، بسام/ هفوة، ص٥-٧، ٩، ١١، ١٧، ٢٠، ٢٣، ٣٤، ٦٣.

[٥٩] القاضي، محمد وآخرون، معجم السرديات، ص٢٧١.

[٦٠] انظر: السابق، ص٢٧١-٢٧٢.

[٦١] شمس الدين، بسام، هفوة، ص٢٠.

[٦٢] السابق، ص٢١.

[٦٣] السابق، نفسه.

[٦٤] داود، محمد، الرواية الجديدة، بنيتها وتحولاتها (ابن النديم للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٣م، ص١٩٩.

[٦٥] حجاب، حسن، البناء الفني في الرواية السعودية (مطابع الحميضي، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ص١٩٥.

(٦٦) داود، محمد، الرواية الجديدة بنيتها وتحولاتها، ص٢٠٢.

(٦٧) شمس الدين، بسام، هفوة، ص٥.

(٦٨) السابق: ص٧-١١.

(٦٩) السابق، ص٢٢.

(٧٠) السابق، ص ٩-١٢.

(٧١) السابق، ص٤٢.

(٧٢) السابق، ص٤١.

(٧٣) انظر: السابق، ص٣٦.

(٧٤) انظر: السابق، ص٤١.

(٧٥) انظر: السابق، ص٤١.

(٧٦) انظر: المقري، اليهودي الحالي (دار الساقي، ط٢، ٢٠١١) ص٧٤.

(٧٧) انظر: شمس الدين، بسام، هفوة، ص٢٣.

(٧٨) انظر: الكعبي، ضياء، سيرورة يهود الجزيرة والخليج العربي في روايتي اليهودي الحالي، وأما بعد، أخبار الخليج، Akbar- Alkleej.com/News/Articale/1083992

(٧٩) شمس الدين، بسام، هفوة، ص٢٣.

(٨٠) انظر: السابق، ص ١٧-٢٠.

(٨١) انظر: السابق، ص٣٢.

(٨٢) انظر: السابق، ص٢٣-٢٧.

(٨٣) السابق، ص٣٦.

(٨٤) السابق، ص٢٢.

(٨٥) السابق، ص١٥١.

المراجع

١- أبو طالب، إبراهيم، الرواية اليمنية، التحقيب الزمني والموضوعاتي والتوظيف الحكائي في أعمال الروائي محمد عبدالولي، مجلة جامعة الملك خالد، مج٢، ع١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
٢- الأحمد، زياد، تحولات الشخصية اليهودية في الرواية العربية، مجلة العرب، السنة (٤٢) ع ١١٥٧٧، الأحد ٢٠٢١/١/٥، Alarab.co.uk/
٣- حجاب، حسن، البناء الفني في الرواية السعودية (مطابع الحميضي، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
٤- داود، محمد، الرواية الجديدة، بنيتها وتحولاتها (ابن النديم للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٣م.
٥- دراج، فيصل، صورة اليهودي الغائمة في رواية غسان كنفاني، مجلة الكرمل، ع٥٣، ١٩٩٧م.
٦- شمس الدين، بسام، هفوة، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط١، ١٤٣٢، ٢٠١١م.
٧- قاسم، سيزا، بناء الرواية (مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤)، القاهرة.
٨- القاضي محمد وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٠.
٩- القاضي، كوثر، صورة اليهودي في الرواية العربية الحديثة، نماذج مختارة، مجلة جامعة الطائف للعوم الإنسانية، ١٤١١هـ، مج٥،ع٩.
١٠- الكعبي، ضياء، سيرورة يهود الجزيرة والخليج العربي في روايتي اليهودي الحالي، وأما بعد، أخبار الخليج، Akbar- Alkleeg.com/News/Articale/1083992
١١- كيوان، مأمون، اليهود في الشرق الأوسط، الأهلية للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٦م.
١٢- متولي، محمد سيد، صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة، رؤية سردية مغايرة، رسالة المشرق.
١٣- المقري، اليهودي الحالي (دار الساقي، ط٢، ٢٠١١).
١٤- يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٣م، بيروت.

Features of Jewish characters in Bassam Shams El-Din's novel "A Gag"

An analytical study of the narrative point of view

By

Dr.Mohammed Abdullah Munwer Al Mubarak

Department of Arabic Language and Literature,College of Arts_ King Saud University

Abstract:

This research deals with the image of the Jewish personalities in the novel "A Gag" by the Yemeni novelist Bassam Shams Al-Din, and also deals with the narrative viewpoint of the features of these characters. The study concluded that the Yemeni Jewish character is an authentic component of Yemeni society at the time of the novel, and that the novelistic characters are identical and influenced by the Yemeni social and cultural environment, and that they were in complete harmony with the Yemeni state and the citizens participating in the homeland, and that the narrative point of view presented by the novel revolves around About finding civilized solutions based on tolerance and coexistence for the life problems resulting from the life relations between the different religions in the same country, and the religious legislation to which they belong.

Keywords: features; Characters; Judaism; gag; Viewpoint